

## النظرية والتنظير

### السبب جراهام

هذا الفصل عن النظرية. لا يتعلق الأمر بأي نظرية أو نظري معين ، بل يتعلق بدور النظرية بشكل عام في الجغرافيا والنشاط المرتبط بالتنظير. يتعرف معظم الجغرافيين ، أثناء دراستهم الجامعية ، على عدد من النظريات المختلفة. في كثير من الحالات ، يتعلق محتوى هذه النظريات بموضوع التخصصات الفرعية داخل الجغرافيا. ومن ثم ، سيكون علماء الجيومورفولوجيا على دراية بنظرية الطبقة الحدودية ونظرية الصفائح التكتونية ، والجغرافيون الذين يتبعون نظرية التحول الديموغرافي ، وجغرافيو التنمية بنظرية التبعية. نظريات أخرى ، مع اختصاصات أوسع على ما يبدو ، تتغلغل أيضًا في وعي الجغرافيين. تم ذكر نظرية النظم العامة ونظرية الفوضى والنظرية الاجتماعية ونظرية اللعبة ، على سبيل المثال لا الحصر ، في الأدبيات الجغرافية وأصبحت عملة مشتركة بالنسبة للبعض.

ينبغي الاعتراف منذ البداية بأن الجغرافيين البشريين أظهروا حماسًا أكبر بكثير للتفكير في النظرية من عند الجغرافيين الفيزيائيين. تطورت الجغرافيا البشرية " الجديدة " من التفكير النظري حول معاني " الثقافة " أو " المناطق " ، وتدعو إلى (إعادة) التنظير في الجغرافيا الصحية والجغرافيا السكانية تسعى إلى تحولات مماثلة لهذه التخصصات الفرعية. ومع ذلك ، لا يزال الجغرافيون الآخرون يشككون بشدة في النظرية ، معتبرين أن المنظرين هم أسوأ أنواع الأكاديميين على كرسي بذراعين تزيلهم لغتهم الغامضة واهتماماتهم المجردة من العالم التجريبي بحيث يمكن تجاهلهم بشكل شرعي. ومن ثم ، فقد حان الوقت لتقييم وطرح عدد من الأسئلة الصعبة حول طبيعة ودور النظرية في الجغرافيا المعاصرة. لا يقتصر الأمر على أن فكرة "النظرية" لها طبقات عديدة ومختلفة لكن دورها في مختلف التقاليد في الجغرافيا المتنازع عليها بشدة . تتميز الجغرافيا المعاصرة بمشهد النظريات التي تتداخل بطرائق معقدة . تعكس على ما يسميه جاي (1998: 29) "مجال القوة الديناميكية للنظريات" ، حتمًا يأخذنا إلى التضاريس الصعبة للفلسفة ومن ثم إلى أسئلة نظرية المعرفة (نظريات حول كيف يمكن أن تكون المعرفة المكتسبة بالعالم ) وعلم الوجود (نظريات حول ما يمكن أن يقال أنه موجود). مثل هذه الأسئلة لا تعد ولا تحصى ولن يكون من الممكن التدرج عليها جميعًا في فصل قصير واحد. ومن ثم ، فإن المناقشة التالية جزئية وانتقائية . لقد اخترت التركيز على عدد قليل من النظريات "الكبيرة" - بما في ذلك نماذج داروين وماركس. معظم هؤلاء لهم أصولهم في عمل غير الجغرافيين ولكن جميعهم أثروا على التطورات في الجغرافيا والطرائق التي يستخدمها الجغرافيون في النظرية . عند التشكيك في "النظرية" ، أمل أن أنقل ما يلي : النظرية نفسها هي مفهوم متنازع عليه . هناك طرائق مختلفة للتفكير بالنظرية ودورها في البحث الفكري . التفكير في النظرية صعب ومثير ، التنظير هو نشاط إبداعي يتطلب مشاركة نقدية ، والتي ، في أفضل حالاتها ، تؤدي إلى طرائق جديدة لفهم العالم . التفكير في النظرية ليس إضافة اختيارية ولكنه جزء ضروري لإجراء البحث الجغرافي لأن النظرية تساعدنا على فهم العالم.

### ما هي النظرية؟

هناك جدل كبير حول الكيفية التي يجب أن نفهم بها "النظرية" ومعنى مصطلح "النظرية" هو "غير متماسك ومرن بشكل غير عادي" (جاي ، 1998: 18). يمكن إرجاع أصلها إلى الكلمة اليونانية الكلاسيكية *theoria* التي تشير إلى تأمل مرئي للعالم من بعيد. ومن ثم فإن النظريات هي ما أسماه أيتشتاين "إبداعات حرة للعقل البشري". بهذا المعنى ، نغمس جميعًا في التنظير عندما نفكر في سبب حدوث شيء ما. تخيل ما يلي :  
روبن: لكن لماذا دعم توني بليير الأمريكيين في الحرب ضدهم العراق؟

كاثي: حسناً ، لدي نظرية حول ذلك. كل هذا يتحدث عن أسلحة الدمار الشامل - إنه مجرد تكتيك للتحويل. ما تحتاج إلى فهمه هو أن الحرب تدور في الحقيقة حول النفط. جورج بوش ، بعد كل شيء ، من تكساس و . . . سواء اقتنعنا بنظرية كاثي أم لا ، فمن الواضح أن النظرية والتفسير مرتبطان ارتباطاً وثيقاً باللغة العادية. علاوة على ذلك ، فإن النظريات مفتوحة للأحكام حول ما إذا كانت تفعل ذلك بالفعل وتقديم تفسيرات سليمة أو السماح بها . مطالبات كاثي أكثر من خيال تخميني؟ كيف نحكم؟ إجابة واحدة هي أننا ينبغي أن نرى ما إذا كانت النظرية تتناسب مع "حقائق" القضية ولكن هذا ليس مستقيماً كما قد يبدو . في البدء ، نحن نواجه مشكلة تحديد "الحقائق" المهمة . جورج بوش من تكساس ، ولكن إلى أي مدى تقدم هذه "الحقيقة" دليلاً على الادعاء بأن الحرب ضد العراق حقا عن النفط ؟ بشكل عام ، فصل "النظرية" عن "الحقيقة" ، كما نحن سوف نرى ، يقودنا إلى كل أنواع المياه الساخنة الفلسفية.

تتعلق نظرية كاثي بحدث تاريخي معين ولن يعتبره العديد من العلماء وبعض علماء الاجتماع نظرية على الإطلاق. بالنسبة لهم ، ينبغي أن تُبنى الفهم النظري على قوانين علمية راسخة. والقوانين العلمية هي افتراضات عالمية حول الظواهر في العالم (الطبيعي) تقوم على المراقبة الدقيقة لهذه الظواهر وقياسها. ينص قانون بويل على أنه "بالنسبة لكتلة ثابتة من الغاز عند درجة حرارة ثابتة ، يكون ناتج الضغط والحجم ثابتاً" ، ويتم قبوله بصفة قانون علمي لأنه مدعوم بأدلة تجريبية ويعبر عن نظام ثابت. التاريخ ، على هذا الحساب ، غير نظري - قد يقول البعض أنه مضاد للنظرية - لأن المؤرخين عموماً يتجنبون البحث عن نظام ثابت ويفتقرون إلى المعايير السليمة "لاختبار" نظرياتهم التخمينية. في العلم ، توفر النظريات الأطر التي تساعدنا على فهم العالم من حيث القوانين العلمية. وأشهر هذه النظريات ، مثل نظريات أينشتاين للنسبية الخاصة والعامة ، تستوعب نظريات أخرى وقوانينها ، مما يحدث تسلسلاً هرمياً للنظريات العامة أو التجريدية المتزايدة.

عندما نفكر في "النظرية" ، ينبغي أن ندرك أن ما يمكن عده نظرية يختلف باختلاف التقاليد الأكاديمية. بينما "نظرية" كاثي موجهة إلى شرح حدث معين ، نتحدث أيضاً بشكل شائع عن النظريات بمعنى أكثر عمومية . في الحديث اليومي ، كثيراً ما يتناقض مصطلح "النظرية" مع "الممارسة" . على سبيل المثال ، قد يُقال أن شيئاً ما "صحيح من الناحية النظرية ولكن ليس في الممارسة" . تخبرنا النظرية ، بهذا المعنى ، بما قد نتوقع حدوثه ، بينما تشجع الممارسة (أو التجربة) على موقف متشكك في مثل هذه التوقعات. كمفهوم شائع للنظرية ، تدين هذه النظرة بالكثير للعلم وتنعكس بوضوح في الطريقة التي يميل الجغرافيون الطبيعيون على وجه الخصوص إلى التفكير في النظرية. تظهر ثلاث سمات لما سأسميه النظرة العلمية التقليدية للنظرية واضحة حتى من هذا المثال المختصر. أولاً ، تختلف النظرية عن الممارسة ، ولكن يمكن أن ترتبط بها ؛ ثانياً ، تُسفر النظريات عن تنبؤات (وتفسيرات) ؛ وثالثاً ، يمكن الحكم على النظريات بأنها صحيحة (أو خاطئة). **أولاً ، تختلف النظرية عن الممارسة ، ولكن يمكن أن ترتبط بها ؛ ثانياً ، تُسفر النظريات عن تنبؤات (وتفسيرات) ؛ والثالث ، النظريات يمكن الحكم عليها أنها صحيحة (أو خاطئة).** تتطلب هذه الميزات المترابطة التعاون من أجل تقديم عدد من الأسئلة التي تواجه العلماء الذين يتبنون وجهة النظر النظرية هذه. نظرًا لأن العلماء حاولوا تأكيد القوة المهيمنة على ما يمكن عده نظرية ، وبما أن الجغرافيين الطبيعيين غالباً ما يدعون أنهم علماء أرض ، فأنا أريد أن أفتح المناقشة من خلال التحول أولاً إلى فهم النظرية في الجغرافيا الطبيعية. كانت هذه التفاهات ذات يوم شائعة عبر الجغرافيا ككل ، ولكن اليوم واجهت تحديات من قبل الأحدث.

## النظرية والسياق

في منتدى حديث حول منهجية الجغرافيا الطبيعية ، يوجد توتر بين "تطوير النظرية" (غالبًا ما يكون مساويًا للنمذجة الرياضية) و "الممارسة" (غالبًا ما تكون مساوية للمراقبة الميدانية) في الهيدرولوجيا. ان الانفصال بين هذين الجناحين يمكن أن يؤدي إلى التمدد ، اذ يقوم واضعو النماذج بتطوير النظرية من أجل النظرية والبقاء بعيدًا عن زملائهم في القياس الميداني. المستقبل الواعد لكليهما في الجمع بينهما ، ولكن هناك مخاوف أنه من النادر ما يكون هناك أي اختبار فرضية لأداء النموذج لتقييم صحة النظرية الأساسية". النظرية ، في هذا الرأي ، هي مقياس كبير ويتم التعبير عنها في الرياضيات لكن الأزمة تنشأ لأن تنبؤاتها لا تتفق مع الدليل التجريبي لعمليات التدفق التي تم جمعها في الميدان . هيرش بوك هو ما يسمى النظرية الوضعية للنظرية ، وهي وجهة نظر شائعة في الهيدرولوجيا و الجغرافيا الطبيعية على نطاق أوسع . ما يمكن عده نظرية هو مجموعة من مقترحات عالمية حول سلوك قنوات الصرف التي تم "اختبارها" مقابل المراقبة التفصيلية لحالات معينة . الأزمة التي تم تحديدها في الهيدرولوجيا ، أو على ما يبدو لي ، يمكن أن تتسع إلى الجغرافيا برمتها في توتر أساسي بين العام والخاص (ينظر الفصل السابع في هذا المجلد بقلم بيرت).

يؤكد التفسير الوضعي للنظرية على الشمولية ، ومن ثم يتعامل مع الوقت التاريخي والفضاء الجغرافي على أنهما غير جوهريين في العلم. فكر في قانون بويل ونظامه المستمر. التوقع الوارد في هذا القانون هو أن الغازات سوف تتصرف بنفس الطريقة الأساسية متى وأينما وجدت ؛ وقد نضيف ، أيًا كان من "يختبر" سلوكه. وهكذا تصبح النظرية في العلم نظرية بدون تاريخ (أو جغرافيا). إذا أردنا قبول مثل هذه النظرية الوضعية للنظرية ، ينبغي أن نواجه السؤال الجاد حول ما إذا كانت الجغرافيا يمكن أن تكون نظرية أو علمًا.

## استعادة السياق

يدرك الجغرافيون الفيزيائيون الذين يفكرون في هذه الأمور وجود توتر بين الاهتمام العلمي بالمصلحة العامة والمصلحة الجغرافية في الخاص (سيدينج ، 1997). تكمن مشكلة التنظير في الجغرافيا في أن النظرية العلمية التقليدية لما يمكن اعتباره نظرية يبدو أنها تستبعد كلاً من الزمن والمكان ، على الأقل فيما يتعلق بالزمن التاريخي والمكان الجغرافي. هناك ردان رئيسان على هذا (أبعد من إنكار إمكانية النظرية "الجغرافية" 1). الأول هو تحدي وجهة النظر المتلقاة للنظرية العلمية عن طريق القول بأن ليس كل نظرية تستحق صفة "علمية" تتجاهل الزمن التاريخي. قد توفر النظرية في علم الأحياء التطوري بعض الذخيرة هنا. علاوة على ذلك ، قد يتم توسيع الجدل ليشمل القضية الشائكة للفضاء الجغرافي عن طريق اجتذاب بشكل عام إلى سياق الزمن والمكان. الرد الثاني الواسع سيكون الرفض الصريح لوجهة النظر العلمية التقليدية للنظرية باعتبارها غير مناسبة للجغرافيا واستبدال حساب مختلف لطبيعة النظرية ودورها في الفهم الجغرافي. تبنى معظم الجغرافيين البشريين هذه الإستراتيجية الأخيرة وتخلوا منذ مدة طويلة عن أي طموح ليكونوا علماء نظريين في الوضع الوضعي ، على الرغم من أنه من الجدير بالذكر أن موروثات الوضعية أكثر انتشارًا مما هو معروف في كثير من الأحيان. سأقوم بفحص كل من هذه الاستجابات المحتملة لعدم التوافق الواضح بين النظرية العلمية والاستقصاء الجغرافي ، ولكن قبل أن أفعل ذلك ، سأوجه كلمة تحذير: من السهل الانزلاق إلى التفكير الثنائي الذي يساوي الجغرافيا الطبيعية بالعلم "الصعب" والجغرافيا البشرية مع عدم - المناهج العلمية للتنظير. في الواقع ، قد تشجع المناقشة الحالية مثل هذا التفكير. سيكون هذا أمرًا مؤسفًا لأنه ، من الناحية النظرية ، يكون التقسيم بين الجغرافيا الطبيعية والجغرافيا البشرية أكثر مرونة.

قدم تشارلز داروين نظريته التطورية في أصل الأنواع عام 1859 وسيكون من الصعب المبالغة في تأثير ما أصبح يعرف باسم الداروينية على فهم العالم الحياتي خلال القرن القادم. ولم يكن الجغرافيون محصنين. إن دورة تآكل ديفيز ، وآراء فريدريك راتزل عن الدولة بصفتها كائن حي ، ودعوة هارلان باروز للجغرافيا بصفتها بيئة بشرية هي أمثلة قليلة من بين العديد من الأمثلة على الأفكار التطورية التي تتسلل إلى تفكير الجغرافيين (ستودارت ، 1966). في ظل هذه الظروف ، قد يبدو من التهور تحدي المؤهلات العلمية لنظرية داروين ، على الرغم من أنه من المناسب ملاحظة أن استعارة الجغرافيين للأفكار الداروينية لم يكن له التأثير الدائم الذي لا تزال النظرية الأصلية تحتفظ به في علم الأحياء.

تتبنى النظرية التطورية الكلاسيكية مفهوم الوقت كعملية (عملية تكيف) والمكان كحاوية عامة ، بدون موقع جغرافي محدد (المكانة البيئية). لا الزمان ولا المكان من مكونات آلية التغيير. يتم فصل السبب عن السياق. يوفر هذا فقط رؤية أحف للسياق لأن آليات التغيير تظل عالمية. تأخذ الجيومورفولوجيا العملية وعلم المناخ الجغرافي السياق على محمل الجد بقدر أكبر من حيث استكشاف الطرق التفاضلية التي تلعب بها العمليات العالمية على سطح الأرض. وهكذا يصبح المقياس وتبديل المقياس قضايا منهجية ، لكن حتمية التعميم للعلم المعياري تحتفظ بقيمتها: `` قد يكون هدفنا إنتاج منهجيات تسمح بتمثيل شامل وقابل للتفسير عبر جميع المقاييس المكانية والزمنية التي تكون بطريقة ما أبسط وأكثر إقناعاً من التمثيل الذي يشمل جميع المكونات المنفصلة (باور وآخرون ، 1999). سواء كان ذلك ممكناً أم لا ، فإن الإغراء هو استنتاج أنه هدف مناسب للعلم "المناسب".

بدأ مشروع الفيلسوف كارل بوبر في فلسفة العلم بالبحث عن ترسيم بين العلم والعلوم الزائفة. في وقت من الأوقات ، كان ينتقد نظرية التطور لأنه كان يعتقد أن الفرضية القائلة بأن أصلح الأنواع على قيد الحياة كانت حشواً ، أو صحيحة بالتعريف. من منظور بوبر ، كان هذا يعني أن النظرية لم تكن قابلة للدحض ومن ثم فهي ليست علماً. ومع ذلك ، احتفظ بوبر بهجومه الرئيس على العلوم الاجتماعية ، وخاصة نظريات التحليل النفسي والماركسية ، التي عدها علماً زائفاً. تحدى نقده للماركسية (بوبر ، 1945 ؛ 1960) الادعاء ، الذي أدلى به فريدريك إنجلز في جنازة ماركس ، بأن ماركس قد اكتشف المبادئ العلمية الكامنة وراء تطور المجتمعات ويثير تساؤلات حول طبيعة النظرية الاجتماعية.

### النظرية الاجتماعية

لقد أثرت أفكار ماركس حول بنية المجتمع (التي يشار إليها عادة بالمادية التاريخية) بشكل كبير على التفكير النظري في جميع أنحاء العلوم الاجتماعية واستمر تطويرها من قبل المنظرين في الجغرافيا البشرية. على وجه الخصوص ، استخدم الجغرافيون مثل ديفيد هارفي ونيل سميث وريتشارد بيت وديك ووكر الإطار النظري للماركسية لتوسيع فهم هيكله الفضاء في ظل الرأسمالية (ينظر بييت ، 1991). مادية ماركس التاريخية ليست سوى مثال واحد للنظرية الاجتماعية ولها العديد من المتغيرات ولكن أهميتها في الجغرافيا ، وادعاءاتها بالحالة العلمية والتوازيات (والتناقضات) التي يمكن استخلاصها مع النظرية التطورية في علم الأحياء تجعل هذه المجموعة من الأفكار النظرية مناسبة بشكل خاص لـ المناقشة الحالية.

أي نظرية اجتماعية موجهة نحو الفهم / التفسير لطبيعة المجتمع . المهمة التي يفترضها المنظرون الاجتماعيون هي تحديد ، أو التعبير عن المكونات الأساسية للعالم الاجتماعي والآليات التي تقود التغيير الاجتماعي . في هذا السياق ، يمكننا أن نرى كيف يمكن لمجموعة واحدة أن تفرز أفكار نظرية أخرى ، مما

يؤدي إلى طرائق جديدة لرؤية العالم . بالنسبة لماركس ، فإن المجتمع له جذوره في الظروف المادية للحياة . يلبي البشر احتياجاتهم المادية عن طريق العمل الإنتاجي الاجتماعي ، ومن ثم ، الدخول في علاقات إنتاج بالضرورة . وبالتالي فإن الأساس الحقيقي للمجتمع هو هيكله الاقتصادي الذي يبني عليه بنية فوقية قانونية وسياسية . العديد من فلاسفة العلوم الاجتماعية انتقدوا النظرية الاجتماعية الماركسية على أنها حتمية ، وأنكروا أهمية الفعل الإنساني المتعمد في تشكيل المجتمع ، وما شابهه وقد تم التعبير عن نقد مماثل من قبل الجغرافيين . هذا يوجهنا نحو سؤال آخر يتعلق بالاهتمام الفلسفي . هل هناك فرق جوهري بين العالم الاجتماعي والعالم الطبيعي بحيث لا يمكن تفسير الأول أو فهمه بنفس الطريقة مثل الثاني؟ إحدى الحجج هي أنه لا يمكن تصور السلوك البشري من حيث النظام المستمر (أي لا توجد قوانين للسلوك البشري) لأنه ، على عكس البراكين أو الأنهار ، فإن الأفعال البشرية تنطوي على القصد والإرادة الحرة. باختصار ، يختار البشر التصرف ، والبراكين والأنهار لا تفعل ذلك. إذا كان الأمر كذلك ، فإنه يشير إلى أن النظريات في العلوم الاجتماعية قد تكون مختلفة نوعًا ما عن نظريات العلوم الطبيعية. في غياب القوانين ، يصعب تحديد التنبؤات ويبدأ الصرح الكامل للمنهج العلمي في الظهور بشكل غير مناسب. يعلق سومرز (1998: 756) ، "إنه يمكن لملاحظة مضادة واحدة أن تزيف نظرية." ويعزو هذا الغياب إلى حقيقة أنه يمكن دائمًا وضع أكثر من بناء نظري على مجموعة من الأدلة. علاوة على ذلك ، غالبًا ما تقدم النظريات الاجتماعية ادعاءات حول كيانات غير قابلة للرصد ، مثل الهياكل الاجتماعية أو الطبقات أو قوى السوق ، والتي لا يمكن أن يكون لها سوى دليل تجريبي غير مباشر. على الرغم من أن النظريات في العلوم الطبيعية تشير أيضًا إلى ما لا يمكن ملاحظته ، يمكن القول إن تنبؤاتها أكثر قابلية للاختبار.

السبب في ذلك ، وفقًا لشوينارد وآخرون. (1984) ، هو أنه بينما يتعامل البحث في العلوم الطبيعية مع الأنظمة المغلقة ، فإن المجتمعات البشرية هي في الأساس أنظمة مفتوحة بشكل أساسي في غياب منهجية صارمة لاختبار الادعاءات النظرية ، أو هكذا يذهب النقاش ، تصبح النظريات مرجعية ذاتية ؛ توجه النظرية الملاحظة التي تؤخذ (عن طريق الخطأ) بدورها للتحقق من صحة النظرية. طريقة أخرى لوضع هذا هو أن الملاحظة محملة بالنظرية. إن احتمال عدم وجود أوصاف رصدية مثيرة للاهتمام محايدة من الناحية النظرية ، بالطبع ، هي مشكلة بالنسبة للعلوم الطبيعية مثلها مثل العلوم الاجتماعية ، لكنني أثيرها هنا لإثبات الحاجة إلى دراسة متأنية لهذه القضية فيما يتعلق بالنظرية الاجتماعية. إذا كان الدليل التجريبي لا يمكن أن يقرر صحة نظرية اجتماعية معينة بطريقة لا لبس فيها ، فما هي إذن الأسباب الأخرى التي قد تكون هناك لتفضيل واحدة على الأخرى؟

أثبتت الإجابة التي قدمها ساير (1984) أنها خيار جذاب لبعض الجغرافيين من البشر. يدافع ساير عن فلسفة العلم "الواقعية النقدية" التي تتناقض بشدة مع الوضعية ، وعلى الأخص في نظرتها للسببية. توفر لنا الواقعية أيضًا طريقة بديلة لضمان النظرية الاجتماعية. بدلاً من النظر إلى أدلة المراقبة للتحقق من صحتها (الاستراتيجية الفردية للوضعيين) ، تؤكد الواقعية على التماسك المفاهيمي ، وقبل كل شيء ، الكفاءة العملية. ومن ثم يمكن قبول النظرية إذا أثبتت وجود نظرية مناسبة للعيش بها. ما إذا كانت الكفاية العملية توفر أساسًا أكثر أمانًا لاختيار النظرية من التطابق بين التنبؤات النظرية والأدلة الرصدية أمر قابل للنقاش ، لكن واقعية ساير تقدم إمكانية وجود طرق لتبرير النظريات التي تتجاوز "الاختبار" التجريبي في قلب الوضعية. علاوة على ذلك ، تشجعنا الواقعية على التنظير حول الحقائق الكامنة وراء حدود ما يمكن ملاحظته.

هناك العديد من النظريات عبر العلوم الاجتماعية التي تقدم تصورات للمجتمع. تنظر النظريات الماركسية إلى العلاقات الاجتماعية على أنها نتائج الظروف المادية وبالتالي تؤكد على الطبقة. يركز المنظرون

النسويون على الطبيعة الأبوية الأساسية للمجتمعات وينتقدون الماركسيين لعدم إعطاء وزن متساوٍ للجنس (ماسي ، 1991). على الرغم من الاختلافات الجوهرية في المحتوى ، فإن المنظرين في تقليد النظرية الاجتماعية هذه يشتركون في هدف مشترك في تطوير نظرية عامة للمجتمع. يعود دافع التعميم إلى الوضع العلمي المزعم للماركسية الكلاسيكية ، وقد تم تحديد البحث عن مثل هذه "النظرية الكبرى" مع المشروع الحدائلي للتنوير (بارنز وغريغوري ، 1997). إنه أيضًا هدف تم تحديده من قبل أولئك الذين يشككون في مقدرة أي إطار نظري واحد على تمثيل العالم (الاجتماعي).

### نظريات "ما بعد"

تميل الأسئلة الفلسفية المتعلقة بالنظرية والتفسير في العلوم وفي العلوم الاجتماعية إلى تناولها بشكل منفصل في الأدبيات الفلسفية. ومع ذلك ، عندما نشر توماس كون كتابه "هيكل الثورات العلمية" في عام 1962 ، شعرت بالموجات الصدمية في جميع التخصصات. يشدد كوهن على أن تاريخ العلوم الغربية ليس تاريخ تطور سلس وتدرجي للنظرية. والعلماء الممارسون لا يفصلون في النظريات أساسًا على أساس منطق التبرير الوضعي. في الواقع ، يجادل كوهن أنه في فترات العلم "الطبيعي" ، غالبًا ما يتم إلقاء اللوم على الانحرافات على ضعف الأجهزة ، أو التعامل معها على أنها دعوة لتعديل النظرية من أجل استيعاب الملاحظة ، أو كنسها تحت السجادة. علاوة على ذلك ، في لحظات "الأزمة" العلمية ، يمكن أن يتخذ نفس الدليل أهمية مختلفة تمامًا. بدلاً من التسلسل المنظم من التخمينات والتفنيدات ، يختبر العلم ثورة يتم فيها استبدال "نموذج" علمي بآخر . ولم يكن العلماء يتصرفون بالطريقة التي قالت الكتب المدرسية عن المنهج العلمي أنها جاءت على ما يبدو كإحياء ، لكن أطروحة كون المركزية هي التي تسببت في أكبر قدر من الذعر لأنه أكد أن التغيير العلمي - من "جزء صغير" إلى آخر - لا يمكن فهمه بشكل صحيح دون مراعاة سياقه الاجتماعي والتاريخي. كما يلاحظ هوليس (1994: 85) ، فإن أطروحة كون "هددت بأن تدفع لكل برنامج الوضعي من خلال إظهار أن العلم يعتمد على عناصر لا مكان لها في مخطط الوضعيين المنطقيين".

ألهمت أهمية تاريخية العلم التي حددها كون في إعادة تفسير طبيعة التنظير العلمي. تستخدم دونا هارواي (1991) مصطلح "المعرفة الموجودة" لتلخيص هذا الفهم الجديد الذي يؤكد البناء الاجتماعي والتجسيد. وتجادل بأن المفهوم التقليدي للممارسة العلمية يعتمد على رؤية من العدم. ومع ذلك ، فإن العلم غير المتجسد مستحيل ، ومن ثم فإن المعرفة دائمًا ما تكون وجهة نظر من مكان ما - جزئية ، غير كاملة ، مجسدة ، موضوعة. هذا نقد قوي من الدراسات الثقافية النسوية لوجهة النظر المستلمة للنظرية والعلم والذي شجع "التحول الثقافي" في الجغرافيا المعاصرة. إلى جانب التحدي ما بعد الحدائلي للسرد الفوقي للنظرية الكبرى (ينظر الفصل العاشر في هذا المجلد من تأليف كاري) ، فإنه يفتح إمكانيات أخرى للطرائق التي يمكن عن طريقها فهم طبيعة ودور النظرية ويسمح بإعادة صياغة الممارسة.

الفهم النظري الجديد "للنصوص" يخدم بشكل جيد بصفته نموذج . النصوص تدور حول التواصل وقد تتخذ عدة أشكال ، بما في ذلك الكلمة المطبوعة والأفلام والموسيقى . الكتب الأكاديمية ، على سبيل المثال ، تنقل "نتائج" الباحثين عن طريق أعراف اللغة المحلية . المظاهر الطبيعية أيضًا عرضة للتفسير النصي . 'قراءة' إن النص ، أو ما يزرعه كثير من المنظرين الأدبيين ، يتضمن فك تشفير معانيه ومن ثم ، فإن التواصل ليس خاليًا من المشكلات كما يُلخص أحيانًا . هوبارد وآخرون (2002: 125): "عندما تخضع للتفسير

النقدي ، تبدأ النصوص من جميع الأنواع في الكشف عن جزئية ومبسطة و تمثيلات مشوهة للأشخاص والمكان ، وغالبًا ما يتم تصويرها عن طريق المفاهيم التي تعمل على إعادة إنتاج عدم المساواة الاجتماعية. النصوص هي نتاج اجتماعي وقد يُنظر إليها أيضًا على أنها مكونة لخطابات أكبر ، وصفها بارنز ودنكان (1992: 8) بأنها `` أطر تحتضن مجموعات معينة من الروايات والمفاهيم والأيديولوجيات والممارسات الدلالة ، كل منها متعلق بمجال معين من نشاط اجتماعي''. ينهار الاتصال بين الخطابات لأن الكلمات ليس لها علاقة طبيعية بالمراجع خارج الخطاب. ببساطة ، اللغة (والخطاب) لا يعكسان العالم ، كما في المرأة ، بل يعطينا عالمنًا. وهكذا ، فإن تعدد الخطابات ينتج عوالم عديدة. يعد الخطاب مفهومًا رئيسًا في ما بعد الحداثة لأنه يزيل أحد المبادئ المركزية المرتبطة بعلم الحداثة ، أي الافتراض بأنه يمكن أن تكون هناك لغة مراقبة محايدة. ما بعد النظريات تستحق الدراسة. يتعلق الأول بكيفية فهم العلاقة بين اللغة والنظرية في ضوء أزمة التمثيل ما بعد الحداثة. إذا كانت كتابة النظرية مثل عوالم الكتابة ، فإن النصوص النظرية هي أسرى للخطاب مثلها مثل النصوص الأخرى. هم أيضًا غير قادرين على مناقشة عالم خارج الخطاب الذي هم جزء منه. فكيف إذن نقرر ما إذا كنا نصدق نظرية معينة أو نتاجًا للتفسير؟ قد تكون إحدى الإجابات هي أن الأحكام تصدر وفقًا للأعراف السائدة في الخطاب. وإذا لم تكن هذه الاتفاقيات ، مثل الخطابات نفسها ، ثابتة ولكنها "خاضعة للتحدي والتفاوض والتحول" (بارنز و دنكان ، 1992 : 8) ، فإن الاحتمال يظهر أن أسس قبول النظرية سوف تتغير بمرور الوقت ، مثل وكذلك بين المجتمعات اللغوية (الواقعة جغرافيًا؟). تصبح الأسئلة المتعلقة بمن يضع الأعراف ، وكيف تعمل عمليات التحول وكيف يرتبط المتحدثون الفرديون باللغات بهياكل الخطاب. مع ذلك ، بدون المقدر على الوقوف خارج خطابنا / خطاباتنا ، من الصعب معرفة كيف يمكن الإجابة على مثل هذه الأسئلة فيما يتعلق بالخطابات "الأخرى". في هذا الحساب ، تصبح المعارف نسبية (أو علائقية) ويتم إنتاجها ثقافيًا بطريقة تؤدي إلى إشكالية معرفة "الأخرين".

ثانيًا ، إذا أعطتنا اللغة عوالمنا ولم يكن هناك عالم خارج اللغة - أو على الأقل لا يوجد عالم يمكننا معرفته - فإن الإغراء هو "اللعب" باللغة معتقدًا أنها ستغير العالم. بدون التقليل من أهمية قوة الكلمات ، هناك بالتأكيد مخاطر في تجاهل مادية الوجود. ليس لدي أدنى شك في أن تغيير الطريقة التي نمثل بها العالم يمكن أن يغير تجربتنا فيه. ومن الأمثلة على ذلك التشكيك النسوي في الأسرة الأنثوية كجزء من "النظام الطبيعي". ومع ذلك ، وبصراحة (ربما بشكل مفرط) ، إذا لم يكن لدينا طعام نموت ، مهما كانت لغة التمثيل التي نستخدمها. إن الاعتقاد بأن العالم لديه جسدية تتجاوز تمثيلنا له ، له جاذبية منطقية ربما يشاركها (الجميع) الجغرافيين الطبيعيين وأكثر من عدد قليل من الجغرافيين البشريين . حتى الآن يبدو أن "واقع" العالم ، يختلف عن تمثيلنا له من المستحيل إثباته ، على الأقل عن طريق التحقيق التجريبي . نحن لا يمكن أن ندعي أن نظرياتنا تخبرنا كيف يكون العالم في الواقع ، لأنه لا توجد أرضية محايدة - لا وجهة نظر - يمكننا عن طريقها أن نقارن بين الاثنين . إذا تراجعنا إلى عوالم متعددة من العلاقات ، كيف يمكننا إذن إصدار أحكاما حول أي نظرية ؟ ومثل هذه الأحكام مهمة ، فبدونها بقينا مع التنوع الذي "يزعزع نظريات العدالة الاجتماعية" ويجعل العمل السياسي إشكالية . علاوة على ذلك ، مثل كاستري (2003) ، فإن المقدر على الحكم على النظريات "الأفضل" أو "الأسوأ" لها أهمية متزايدة في ضوء المشاكل البيئية المتصورة مثل الاحتباس الحراري وانقراض الأنواع . ربما يكون التحدي النظري البارز في الجغرافيا اليوم هو التوفيق بين مفاهيم "الطبيعة" المادية مع تلك "الثقافة" العلائقية .

### الخلاصة: إعادة التفكير في النظرية

توفر النظرية إطارًا لتفكيرنا ، ولكن حتى في أكثرها ، الوضعية في حساب العلم ، ليس شيئًا ثابتًا . في الواقع ، وجهة نظر ما بعد الحداثة للتنظير بصفتها عملية مستمرة تؤكد على الطبيعة المؤقتة ، وكذلك الموضوعية ، للنظرية . حتى نظرياتنا الأكثر احترامًا لها ما يبررها مؤقتًا وهناك هو دائمًا احتمال تأثير النظريات التي تم التخلي عنها في السابق للتنظير في المستقبل . وهكذا فإن إعادة التفكير في النظرية يغير عالمنا ويؤثر بعمق على البحث . بدون داروين ، تكون عظام سكان الأرض السابقين ليس دليلًا على التطور . بدون ماركس ، عدم المساواة الاجتماعية (والمكانية) تفقد أهميتها كنتائج للمنطق الداخلي للرأسمالية .

المناقشات حول ما يمكن عده نظرية ، كما رأينا ، هي نقاشات حول الاتفاقيات التي تحكم كيفية ضمان النظريات - ما هو أدلة وحجة كافية ، وكيف أن تلك الأدلة تتعلق بالافتراضات الرئيسة للنظرية نفسها . تعكس هذه الاتفاقيات كيف نفهم "الملاحظة" ، والتي تكون دائمًا معقدة أكثر من مجرد جمع ساذج "للحقائق" . علاوة على ذلك ، الاتفاقيات هي متنازع عليها لأنها تستند إلى الافتراضات المعرفية والأنطولوجية تلك هي مسائل عدم اليقين الفلسفي . في الجغرافيا الصدام الظاهر بين أولئك المقتنعين بأهمية ما وراء تمثيل العالم وأولئك الذين يؤكدون على موقع كل حواف المعرفة يتحولون إلى نقاش حول ما يمكن أن يقال أنه موجود وكيف يمكننا اكتساب المعرفة به ، إذ حتى هذه الثنائية تخضع للنقد والتدقيق.

يتطلب التنظير التأمل ، ورؤية الصلات في عالم غير فوضوي من التجربة الإنسانية . بهذا المعنى ، فإن التنظير يستلزم "وجهة نظر" من بعيد ، ليس من نقطة أرخميدس ولكن انعكاسية بعيدة عن الذات تواجه توترًا بين تجاوز الخصوصيات والاعتراف بالتنوع والاختلاف بين الناس والأماكن (جريج أوري ، 1994).

**إن فهم الطبيعة / الثقافة بكل تنوعها هو شريان الحياة للبحث الجغرافي ، لشرح الاختلاف والتنوع هو سبب الوجود الجغرافي (ماكديويل ، 2002).** وهكذا ، فإن التوتر الذي يعترف به غريغوري يتمتع بصدى خاص عبر تخصصنا . يتطلب التنظير تفاعلًا نقديًا مع كل هذه المناقشات ، **وبدون نظرية لن يكون للجغرافيين أهمية كبيرة ليقولوها عن العالم.** (\*)<sup>1</sup>

(\*) تختلف مع جميع النظريات الوضعية في ادعاءاتها التي تتعارض من النهج الإسلامي.